

يا عمال العالم، اتحدوا!



# طريق البلشفية



عزالدين بن عثمان المهدي

النضال الثوري

للبلشفة بقيادة ستالين

ضدّ النخريفية المعاصرة

نشر النشرة البلشفية العربية

نونس، كانون الثاني 2013

بعد وفاة لينين وخلال فترة العشرينات من القرن الماضي وحتى منتصف الثلاثينات خاض البلاشفة بقيادة ستالين نضالا شاملا إيديولوجيا وسياسيا ضدّ شتى الانحرافات اليمينية و«اليسارية» للأمية الثانية و«الثانية نصف» والتروتسكية والبوخارينية وغيرها. كان ذلك التضال عالميا في الأتحاد السوفييتي وفي جميع الأحزاب الشيوعية وقد أفضى ذلك التضال إلى انتصار ساحق للبلشفية وتعزيز الوحدة الإيديولوجية والسياسية والتنظيمية للطبقة العاملة السوفييتية والعالمية ورفع درجة النضج النظري والسياسي للأحزاب الشيوعية. كان ذلك تحضيرا ضروريا للطبقة العاملة وسائر الكادحين لخوض المعارك الكبرى التي تنتظرها سواء من أجل سحق البرجوازية وبناء الاشتراكية في الأتحاد السوفييتي أو من أجل القيام بالثورة ضدّ الإمبريالية وسحق الفاشية.

كانت النجاحات الباهرة في بناء الاشتراكية والانتصار على النازيين بقيادة الأتحاد السوفييتي وانتصار الثورة ضدّ الرأسمالية الإمبريالية في عدد كبير من البلدان وتشكل معسكر اشتراكي قوي في مواجهة المعسكر الإمبريالي تجسما قويا لصحة الخط النظري والسياسي للحركة الشيوعية العالمية بقيادة ستالين والبلاشفة.

خلال فترة المعارك والانتصارات العظمى تلك والممتدة من أواسط الثلاثينات حتى حوالي 1947 بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، لم يكن الصراع الإيديولوجي والسياسي ضدّ الانتهازية بتلويناتها على جدول الأعمال. كانت المعركة الرئيسية لجميع الشيوعيين الأميين تتمثل في هزيمة الفاشية الهتلرية تحت قيادة الأتحاد السوفييتي. كان على الشيوعيين في جميع البلدان بناء وقيادة جهات وطنية واسعة ضدّ الفاشية تكون حلقات في سلسلة الجبهة العالمية ضدّ الفاشية بقيادة الأتحاد السوفييتي. ولتحقيق ذلك كان من الضروري بالنسبة للشيوعيين في جميع البلدان أن يتحالفوا مع الاشتراكية الديمقراطية وأن يعقدوا اتفاقات حتى مع ديمقراطيين برجوازيين (أو وطنيين إصلاحيين في المستعمرات وأشباه المستعمرات) معادين فعلا للفاشية.

هذا الاحتكاك والتحالف بين الطبقة العاملة في جميع البلدان والقوى البرجوازية الديمقراطية والبرجوازية الصغيرة رغم ضرورته وصحته لتحقيق التصر على الفاشية بقيادة الأتحاد السوفييتي وفي نجاح الثورة في عديد البلدان في أوروبا الشرقية وآسيا، كان له جانبه السلبي والمتمثل في تسرب التأثير البرجوازي والبرجوازي الصغير في صلب الطبقة العاملة والتي انعكس داخل الأحزاب الشيوعية في تفشي الانحرافات اليمينية والتصوفية المبشرة بالتعاون الطبقي والبرلمانية

البرجوازية والداعية إلى التخلي عن النضال الثوري ضدّ الرأسمالية الإمبريالية. هذه «التحريفية المعاصرة» انتشرت في الأحزاب الشيوعية على المستوى العالمي وفي الحزب الشيوعي البلشفي نفسه.

مباشرة بعد انتهاء الحرب العالمية وبالتوازي مع العمل الجبار لإعادة بناء وطن الاشتراكية، شرع البلاشفة بقيادة ستالين في حوض نضال علمي نظري وسياسي ضدّ التحريفية المعاصرة من أجل تطهير الحزب البلشفي والحركة الشيوعية العالمية من تلك العناصر المتفسخة.

ككل التحريفيين، اتخذ التحريفيون المعاصرون من «الخصوصية القومية» و«نبد الدغائية» أساسا لتطوير تحريفهم وإنكارهم للمبادئ العامة للماركسية اللينينية وقيادة البروليتاريا العالمية. تصدى البلاشفة بقوة لهذا الانحراف، قرأ في الصحيفة النظرية للحزب البلشفي ما يلي: «إن الادعاء القائل بأن كلّ بلد يسير نحو الاشتراكية حسب طريق أصيلة كليا وبأن هناك عددا من الطرق يمثل عدد البلدان غير صحيح. إن قول ذلك يعني إنكار المعزى العالمي لتجربة البلشفية. إن القوانين العامة للانتقال من الرأسمالية إلى الاشتراكية التي اكتشفها ماركس وأنجلس وتمت تجربتها من طرف ماركس وأنجلس والتي جزّأها وطوّرها لينين وستالين على قاعدة تجربة الحزب البلشفي والتولة التوفيقية، هي ملزمة لكل البلدان. إن التجربة العظيمة للحزب البلشفي هي مرشد عمل بالنسبة للشيوعيين والشغاليين في جميع البلدان»<sup>1</sup>

اتخذ ماو والحزب الشيوعي الصيني موقفا مغايرا تماما حيث يعتبران أنّ كلّ تطوّر الثورة الصينية كان مناقضا لخط ستالين والكومنترن. يقول الحزب الشيوعي الصيني بعد فترة طويلة من وفاة ستالين: «منذ فترة بعيدة، قد مرّ الشيوعيون الصينيون في تجربتهم الشخصية الخاصة ببعض أخطاء ستالين. أُنْتُكبت أخطاء خطوط داخل الحزب الشيوعي الصيني. فقد كانت إمّا انتهازية «يسارية» أو يمينية. في ما يتعلق بأسبابها العالمية، أُنْتُكبت البعض منها تحت تأثير بعض أخطاء ستالين. منذ نهاية العشرينات، ثم خلال الثلاثينات، وأخيرا في بداية وأواسط الأربعينات، عمل الماركسيون اللينينيون، والرفاق ماو تسي تونغ وليو شاوشي كمثيلهم، على محاصرة تأثير بعض

<sup>1</sup> صحيفة البلشفي، 15 سبتمبر 1948

أخطاء ستالين، ثم، بعد القضاء بالتدرج على الخطوط الخاطئة لكل من الانتهازية «اليسارية» واليمينية، قادوا في النهاية الثورة الصينية إلى النصر.<sup>2</sup>

وكان الحزب الشيوعي البلشفي السوفييتي يجارب أيضا «التطوير» الذي جلبه ماو للنظرية اللينينية عن الثورة من أجل تحويل الصين إلى دكتاتورية البروليتاريا والفلاحين في مواجهة «الديمقراطية الجديدة» لماو. ففي ندوة علمية أقامها معهد الدراسات الشرقية التابع لأكاديمية العلوم السوفييتية، قدم بي زوكوف المحاضر الأساسي تقريرا جاء فيه «من الخطر أن نرى في الثورة الصينية نموذجا للثورات الديمقراطية الشعبية في بلدان آسيوية أخرى». شدد أيضا بي زوكوف في تقريره على أن «الديمقراطيات الشعبية هي شكل خصوصي للدكتاتورية الديمقراطية الثورية للبروليتاريا والفلاحين»<sup>3</sup>. وفي نفس الإطار كتب أيضا أ. سوبوليف «في سياق الثورة تبرز الديمقراطية الشعبية كجهاز للسلطة الثورية التي هي من حيث محتواها نوع من دكتاتورية الطبقة العاملة والفلاحين»<sup>4</sup>.

وفي مقال نشر في الذكرى السبعين لميلاد ستالين يحمل عنوان «النظرية الستالينية في الثورة الكولونيالية والحركة التحررية الوطنية في إفريقيا الجنوبية والاستوائية» شن البلاشفة هجوما مباشرا على التحريفية المعاصرة في مسائل الثورة في المستعمرات وأشبه المستعمرات: «تؤكد النظرية الستالينية في الثورة داخل المستعمرات على أن حل المسألة الكولونيالية وتحرير الشعوب المضطهدة من العبودية، أمر مستحيل بدون الثورة البرولتارية والإطاحة بالإمبريالية. خلال السنوات الأخيرة ومنذ الحرب العالمية الثانية انتشرت فكرة تقول بإمكانية نحو النظام الاستعماري دون تحطيم نمط الإنتاج الرأسمالي خاصة في أوساط المثقفين البرجوازيين في البلدان المستعمرة، أن البرجوازية الوطنية تتمنى لو تحصل على الاستقلال. كما تأمل الحصول على فرصة حكم بلدها بصورة مستقلة مع الاحتفاظ بنمط الإنتاج الرأسمالي ومع تجنب كل الإصلاحات الجزرية

---

<sup>2</sup> حول مسألة ستالين، 10 مارس 1958، في كتاب خطابات الرئيس ماو، ص 101، طبعة ستيوارت شرام

<sup>3</sup> بي زوكوف: طابع وخصوصيات الديمقراطية الشعبية في بلدان الشرق، 1952

<sup>4</sup> أ. سوبوليف: البلشفي، عدد 19، أكتوبر 1951

الديمقراطية. إن الأساس النظري لوجهة النظر هذه هو التصور الكاوتسكي للإمبريالية»<sup>5</sup>. ويضيف المقال: «إن البرجوازية تساند الحركة الثورية للشعب بهدف استخلاص الفائدة لوحدها من ثمار الثورة وافتكك السلطة السياسية قصد اضطهاد الشعب في بلدها الخاص. إن هذه المرحلة من الجبهة الوطنية الواسعة ليست ممكنة إلا حينما تكون البروليتاريا غير فاعلة كقوة مستقلة ومحددة وكقطب مضاد للبرجوازية الوطنية وحيث لا تزال البروليتاريا غير قادرة على توجيه نضال الجماهير الشعبية غير البرولتارية»<sup>6</sup>.

وفعلا كانت الكاوتسكية ركيزة لنظريات مثل «الديمقراطية الوطنية» الخروتشوفية ومن قبلها «الديمقراطية الجديدة الماوية» وتطبيقاتها «العالمية» الرجعية اللاحقة فيما سمي بنظرية العوالم الثلاث. القاسم المشترك بين كل هذه النظريات هو القول بإمكانية حل المسألة الوطنية أو الكولونيالية في ظل الرأسمالية ومعزل عن الثورة البرولتارية. لقد شكل ذلك عودة قوية للنظريات الكاوتسكية عن الإمبريالية والى وجهات نظر الأئمة الثانية.

لقد كان نضال البلاشفة عالميا بالإضافة إلى العوامل التي ذكرناها والتي ساعدت على تفشي التحريفية على نطاق عالمي، فقد كان لكتابات ماو التحريفية بعض التأثير في أوروبا الشرقية وقد تطور هذا التضال ضد الانحراف اليميني في مسألة التولية ليصبح سافرا ويؤدي في إحدى حلقاته الأولى إلى طرد التيتويين المكشوفين في صلب الحركة الشيوعية العالمية لا فقط في يوغسلافيا بل في عديد البلدان. لقد كان ماو على حق عندما صرح بأن ستالين يعتبره «من طراز تيتو». ولا شك أن محاولات ماو للتخفي سنوات 1951 و1952 و1953 قد فشلت وأن ستالين كان يستعد لمواجهة بوضفه من طراز تيتو. لهذا السبب رحب ماو والحزب الشيوعي الصيني بهجومات خروتشوف ضد ستالين في المؤتمر العشرين.

---

<sup>5</sup> «النظرية الستالينية في الثورة الكولونيالية والحركة التحررية الوطنية في إفريقيا الجنوبية والاستوائية»، سوفشكايا اتنوغرافيا، عدد 1، 1950

<sup>6</sup> نفس المصدر السابق

تقول اللجنة المركزية للحزب الشيوعي البلشفي للاتحاد السوفياتي في هجومها على التحريفيتين اليوغسلاف: «إن روح سياسة الصراع الطبقي لا يمكن ملاحظتها بعد في الحزب الشيوعي اليوغسلافي. تتطور العناصر الرأسمالية في المدن والأرياف ولا يتخذ قادة الحزب أية إجراءات لمراقبة العناصر الرأسمالية... إن إنكار تنامي قوة العناصر الرأسمالية من طرف هؤلاء الرفاق وتبعا لذلك، احتداد صراع الطبقات في الأرياف في ظل الظروف الحالية ليوغسلافيا، ناتج عن إدعاء انتهازي يقول بأنه خلال المرحلة الانتقالية بين الرأسمالية والاشتراكية، لا تحتد التناقضات الطبقيّة كما تعلمنا الماركسيّة اللينينية، وإنما تخفت كما يدعي الانتهازيون من طراز بوخارين الذي كان يراهن على نظرية رجعية حول العناصر السلمية في نظام اشتراكي».<sup>7</sup>

لقد استغل ماوتسي تونغ مجازر الكيومينتانغ وتشان كاي تشيك ضد الحزب الشيوعي الصيني خاصة في المدن وإضعاف قواعده العالية وكذلك انشغال ستالين والكومنترن بتحضير التصدي العالمي للفاشية والنازية وقام وجماعته باغتصاب السلطة في الحزب بطريقة غير شرعية وبالاعتماد على الجيش في جانفي 1935 في كوفرنس تسون-بي. أطاح ماو بالقيادة البلشفية للحزب التي ركزها الكومنترن والشيوعيون الصينيون ضد الانحرافات الانتهازية اليمينية وشبه التروتسكية في 1931. إن السيطرة غير الشرعية والمسّحة على السلطة في الحزب من طرف ماو لم يعترف بها الكومنترن أبدا، كما لم يؤيد الكومنترن ولم تعلق الصحافة السوفييتية أبدا حتى وفاة ستالين على أي من انتقادات ماو لما يسميه «28 بلشفي».

يقول ماو بهذا الخصوص: «لقد دام خط وانغ مينغ أطول فترة. لقد شكل كتلة في موسكو ونظم 28 بلشفيًا. وبالاعتماد على قوة الأمية الثالثة سيطروا على السلطة في الحزب واحتفظوا بها طيلة أربع سنوات كاملة».<sup>8</sup>

---

<sup>7</sup> رسالة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي إلى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي اليوغسلافي، 4 ماي 1948، ترجمتنا

<sup>8</sup> حول مسألة ستالين، 10 مارس 1958، في كتاب خطابات الرئيس ماو، ص 101، طبعة ستوارت شرام

ويعترف ماو بتصفيته للخط البلشفي داخل الحزب الشيوعي الصيني بعبارات في غاية الوضوح: «وفي تاريخ الحزب الشيوعي الصيني، من عام 1931 إلى عام 1934، كان أصحاب نزعة الجمود العقائدي ينكرون خصائص الصين، وينسخون تجربة ما عن الثورة الروسية: مما أدى إلى حلول هزيمة خطيرة بالقوى الثورية في البلاد. وقد كانت هذه الهزيمة كبيرة لحزبنا. وفي المرحلة الواقعة بين الجلسة الموسعة التي عقدها المكتب السياسي للجنة المركزية في تسوفي عام 1935 وبين المؤتمر الوطني السابع الذي انعقد في عام 1945، قضى حزبنا قضاء تاما على نهج الجمود العقائدي هذا الذي سبب ضررا كبيرا»<sup>9</sup>.

ويقول ماو مؤكداً ضمناً عدم اعتراف الكومنترن بانقلابه والتزامه الصمت في تلك الفترة: «ومنذ المؤتمر العالمي السابع في عام 1935 ما عادت الأمانة الشيوعية تتدخل في المشكلات الداخلية للحزب الشيوعي الصيني»<sup>10</sup>.

إن قراءة ماو لمسألة «صراع الخطوط» داخل الحزب الشيوعي الصيني المضمنة في وثيقة «قرار حول بعض المسائل المتعلقة بتاريخ الحزب» المصادق عليها في 20 أبريل 1945 من طرف اللجنة المركزية الموسعة قبيل المؤتمر السابع للحزب، لم تنشر أبداً قبل فيفري 1953 أي شهراً قبل اغتيال ستالين، في المجلد الثالث الذي تضمن لأول مرة أيضاً تقرير ماو للمؤتمر السابع تحت عنوان «حول الحكومة الائتلافية» والكتابات التي جسدت الحملة التي قادها ماو لتصفية البلاشفة الصينيين تحت شعار «ضد الدغائية» و«فلنصلح دراستنا» وهي بالضبط الشعارات التي رفعتها العصابة الخروتشوفية لسحق البلاشفة في الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي.

---

<sup>9</sup> من جديد حول التجربة التاريخية لدكتاتورية البروليتاريا، هيئة تحرير الجريدة الصينية جين مين جهاو، 29 ديسمبر 1956

<sup>10</sup> خطاب ماو تسي تونغ في 26 أيار 1943، أمام ملاكات الحزب الشيوعي الصيني لتفسير قرار حل الأمانة الشيوعية

تركزت سيطرة ماوتسي تونغ على الحزب الشيوعي الصيني بصورة كبيرة في المؤتمر السابع حيث طرح لأول مرة مفهوم «فكر ماوتسي تونغ». لم يعترف الاتحاد السوفييتي بذلك أبدا قبل وفاة ستالين والصحافة السوفييتية لم تعلق أدنى تعليق حول انعقاد هذا المؤتمر.

لم يدعّم ستالين المؤتمر السابع لأنه يشكل انتصارا تحريفيا داخل الحزب الشيوعي الصيني لا يختلف في جوهره عن التبتوية وغيرها من أشكال التحريفية المعاصرة التي تفتشت بعد الحرب العالمية الثانية. ويعترف ماو بذلك حيث يصرح في 1956 «لقد ارتكب ستالين عددا معينًا من الأخطاء بحق الصين، فغامرة وانغ مينغ «اليسارية» في أواخر مرحلة الحرب الأهلية الثورية الثانية وانتهازية وانغ مينغ الجينية في أوائل حرب المقاومة ضد اليابان كتأهما ترجعان إلى ستالين. خلال مرحلة حرب التحرير، لم يسمح لنا في البداية بالثورة معتقدا بأن الأمة الصينية ستعترض لخطر الدمار إن قامت حرب أهلية. ولما قامت الحرب كان ينظر لنا بعين الشك. وعندما انتصرنا في الحرب كان يرتاب في أن انتصارنا انتصار من الطراز التبتوي وكانت ضغوطه علينا شديدة في عامي 1949 و1950.<sup>11</sup>»

هذه «الضغوط الشديدة» من ستالين والتي تعرضنا إلى بعضها أعلاه، أجبرت ماو على التخفي واستباق إمكانية فضحه وطرده من الحركة الشيوعية العالمية مثلما وقع الأمر مع تبتو والحزب الشيوعي اليوغوسلافي، فقام بإدخال تعديلات جوهرية على كتاباته بمناسبة إصدار المؤلفات المختارة سنة 1951 بحيث أضيفت إليها بصورة ممنهجة عبارات «بقيادة البروليتاريا» و«بقيادة الحزب الشيوعي» وأزيلت منها مقاطع بأكملها وعديد الجمل المتعلقة بالدور القيادي للفلاحين في الثورة وتمجيد البرجوازية الوطنية...الخ.<sup>12</sup>

---

<sup>11</sup> «حول العلاقات العشر الكبرى»، خطاب ماو في الاجتماع الموسع للمكتب السياسي للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، 25 نيسان 1956

<sup>12</sup> للاطلاع على تفاصيل هذا التزييف نحيل القارئ إلى دراسة معمقة قامت بها منظمة الاتحاد البلشفي الكندية، ونشرت في العدد 15 من مجلتها «خطوط التمايز» عام 1980



يقول ستيوارت شرام وهو أحد الأكاديميين البرجوازيين المختصين في ترجمة ونشر كتابات ماو «لقد خضعت النصوص المضمنة في الأعمال المختارة إلى تغييرات كثيرة وعميقة من طرف الكاتب بحيث لا يمكننا أن نؤكد، ولو بالنسبة لجملة بسيطة، مطابقتها لما كان ماو قد كتبه فعلا دون التثبت بالرجوع إلى النسخة الأصلية».

ومن الصعب علينا نحن طبعاً أن نفهم كيف انتقل ماو من تكتيك التخفي وتنقيح كتاباته لـ«تفادي» «الضغوط الشديدة» التي مارسها عليه ستالين إلى الهجوم المكشوف على ستالين والأمية الثالثة في فيفري 1953 لو لم يكن يعلم مسبقاً أنّ ستالين سيكون بعد شهر في وضع لا يستطيع فيه محاربتة بوصفه تيتوي. خاصة وأن ذلك الهجوم المباشر على ستالين والكومنترن حصل في توقيت مرتبط بتواجد بولغانين على رأس وفد سوفيتي في سفارة الصين في فيفري 1953. وهذا الرجل نفسه، بولغانين، سنجده ضمن وفد سيذهب إلى الصين يضم أيضاً خروتشوف ومكويان في 1954. وقد أسست هذه الزيارة للتحالف الأولي بين ماو والتحريفيين السوفييتيين. هذا التحالف الذي كسب منه خروتشوف دعم ماو في الهجوم على ستالين وتصفية وبالخصوص الوعد بتقديم المساعدة التتوية. كلّ ذلك يدفعنا إلى التساؤل حول مدى انضمام ماو تسي تونغ بصفة نشيطة إلى مؤامرة اغتيال ستالين وتصفية القيادة البلشفيّة في الاتحاد السوفييتي؟

مهما يكن من أمر، فالأكد أنّه قدّم التبرير السياسي لاغتيال ستالين. يقول الحزب الشيوعي الصيني: «إن بعض أخطاء ستالين قد تحوّلت في آخر مرحلة من حياته إلى أخطاء خطيرة طويلة الأمد وعلى صعيد الدولة، ولم يكن من الممكن إصلاحها في الوقت اللازم لأنه كان قد انقطع عن الجماهير والجماعة إلى حد ما ويقدر ما، وكان قد انتهك مبادئ المركزية الديمقراطية في الحزب والدولة».<sup>13</sup>

<sup>13</sup> من جديد حول التجربة التاريخية لدكتاتورية البروليتاريا، هيئة تحرير الجريدة الصينية «جين مين جهاو»

انتشرت التحريفية المعاصرة بعد الحرب العالمية الثانية في الاتحاد السوفييتي أيضا وداخل الحزب البلشفي. كان ستالين يعي تماما أنّ الانشغال بالحرب الوطنية الكبرى ضدّ النازية والحسائر الكبرى في كوادر الحزب البلشفي ثمّ المجهودات الجبارة التي بذلت لإعادة البناء في زمن قياسي ونشوة الانتصارات المتلاحقة والنشاطات والمناورات الدبلوماسية مع الدول الإمبريالية وتطور العلاقات معها، كلها عوامل أضعفت جاهزية الحزب الإيديولوجية والسياسية للتصدي للانحرافات العميقة وخلقت مناخا عامّا من التراخي وضعف اليقظة إزاء أعمال التخريب والمؤامرات الإمبريالية.

نشر الرفيق ستالين «القضايا الاقتصادية للاشتراكية» في أكتوبر 1952 قبيل المؤتمر التاسع عشر للحزب البلشفي وكان الأساس لبدء حملة واسعة من طرف ستالين والبالاشفة ضدّ التحريفية المعاصرة التي برزت على نطاق واسع في الحزب وفي الحركة الشيوعية العالمية. فقد كان ماو وتيتو وغيرهم في المعسكر الاشتراكي يريدون نفي القوانين الاقتصادية الموضوعية للاشتراكية وكانت لهم وجهة نظر مناقضة تماما لوجهة نظر البالاشفة، ووجهة نظر قومية «للاشتراكية» تجعل من قانون القيمة قانونا مطلقا في «اشتراكيهم».

في هذا المؤلف تصدّى ستالين أيضا، قبل أشهر من وفاته، بوضوح لتفشي الأوهام التحريفية حول التعايش السلمي مع الإمبريالية وإمكانية انتهاء الحروب في عصر الإمبريالية. يقول: «للقضاء على الطابع الحتمي للحروب يجب تحطيم الإمبريالية». وبين ستالين كيف أنّ «النتيجة الاقتصادية الأكثر أهمية بعد الحرب العالمية الثانية وتبعاتها على الاقتصاد كانت تفكك السوق العالمية الموحدة والشاملة. هذا تسبّب لاحقا في تعمق الأزمة العامة للنظام الرأسمالي». هذا التفكك يزيد من المنافسة بين الإمبرياليين بفعل تقلص السوق الرأسمالية العالمية مما يجعل الحروب فيما بينهم حتمية. هذا التفكك يزيد أيضا من عدوانيتهم تجاه بلدان المعسكر الاشتراكي ويضعف بشكل كبير من محاولاتهم لإعادة الرأسمالية. كان ستالين يستشهد دوما بهذا المقطع للينين «لا يمكن تصوّر أنّ الجمهورية السوفييتية بإمكانها مواصلة التعايش لمدة طويلة جنبا إلى جنب مع الدول الإمبريالية.

إمّا هذا أو ذاك سينتصر في النهاية. وإلى ذلك الحين من الحتمي أن نشهد صدمات رهيبة بين الجمهورية السوفيتية والدول البرجوازية»<sup>14</sup>

وفي خطاب<sup>15</sup> ألقاه في الاجتماع الموسع للجنة المركزية للحزب البلشفي في 16 تشرين الأول سنة 1952 نشرته لأول مرة جريدة غلاسنوست الروسية بمناسبة الذكرى المائة والعشرين لميلاده، طرح ستالين مسائل جوهرية تهمّ تطوير دور الحزب وكفاءة القادة في التضال ضدّ الانتهازية. كان ستالين في هذا الخطاب ذي الأهمية التاريخية مدركاً تماماً للمخاطر التي تتهدّد الحزب البلشفي والدولة السوفيتية وقد عبّر صراحة عن تفتّي الانتهازية وغياب الوحدة داخل الحزب. يقول ستالين في هذا الخطاب بمرارة واضحة: «لقد عقدنا مؤتمر حزبنا. ومثّر ذلك بصورة جيّدة جدّاً، وقد يعتقد الكثير منكم أن الانسجام التام والوحدة تسود بيننا. ولكننا لا نمتلك هذا الانسجام وهذه الوحدة في الفكر. فبعضكم حتّى يعارض ولا يجب قراراتنا»<sup>16</sup>.

واضعا بكل وضوح الهدف الأسمى المتمثل في بناء الشيوعية، طرح ستالين في هذا الخطاب مسألة تشييب قيادة الحزب وضرورة تربية كوادر أكثر كفاءة «يستطيعون تمييز كافة أنواع الميول الانتهازية والتضال ضدها». يقول الرفيق ستالين: «يجب أن نفكر في أيدي من سنسلم مشعل مشروعنا العظيم، من سيحمله إلى الأمام ليلبغ هدف الشيوعية؟ نحتاج لهذا إلى شخصيات شابة تتحلّى بالمزيد من الطاقة، إلى رفاق وقادة سياسيين يكرسون أنفسهم لذلك. وما معنى أن نربي قائداً مكرساً حياته ومخلصاً للدولة؟ نحتاج إلى عشرة أعوام أو خمسة عشر عاماً لكي نتمكّن من إنشاء قائد للدولة قادر على حمل هذا المشعل.

ولكن مجرّد الرّغبة في حدوث ذلك لا يكفي. لكي نربي كوادر جديدة كهذه نحتاج إلى الوقت وإلى مساهمتهم في عملية الحكم اليومية للدولة، أن يتعلّموا في الأمور التطبيقية التي تشمل كامل سلسلة جهاز وخطط الدولة وجهازها الفكري لكي يواصلوا رفع بناء المجتمع الاشتراكي إلى مستويات أعلى

---

<sup>14</sup> ورد في: ستالين: «حول الانتصار النهائي للاشتراكية في الاتحاد السوفيتي»، 1938.

<sup>15</sup> ترجمه إلى العربية حسقييل قوجان عن مجلة Northstar Compass عدد نيسان 2000

<sup>16</sup> جريدة «غلاسنوست»، 16 تشرين الأول 1952

وأن على الرفاق أن يستطيعوا تمييز كافة أنواع الميول الانتهازية والتضال ضدها. على الرفيق أن يكون عاملاً لينينياً، يعلمه حزبنا تاريخه وتكتيكه وخطه ومستقبل الاتحاد السوفيتي كما تصوّرهما لينين»<sup>17</sup>.

ويهاجم ستالين بعض الانحرافات الخطيرة التي تمس نظام دكتاتورية البروليتاريا وتدفع نحو تفسخه إلى نظام الديمقراطية البرجوازية، هذه الانحرافات طالت حتى قادة كباراً مثل مولوتوف. يقول ستالين: «الرفيق مولوتوف هو أكثر الرفاق تكريساً لقضيتنا. أنه مستعد أن يقدم حياته لقضية الحزب. ولكننا لا يمكن أن نتغاضى عن ضعفه في بعض جوانب عمله. إن الرفيق مولوتوف باعتباره وزيرنا للشؤون الخارجية، واجداً نفسه في خضم استقبال دبلوماسي «زلق»، قدم ضماناً إلى دبلوماسي بريطاني بأن الرأسماليين يمكنهم أن يبدووا نشر صحف برجوازية في بلادنا. لماذا؟ هل كان هذا هو المكان لإعطاء مثل هذا الضمان بدون علم اللجنة المركزية للحزب؟ أليس من الواضح الجلي أن البرجوازية هي عدونا الطبيعي وأن ترويج الصحف البرجوازية بين أشخاص حزبنا إضافة إلى تسبب الأضرار لن يقدم لنا أية فوائد؟ لو سمح لهذا أن يحدث لكان بإمكاننا أن نتوقع ظروفًا حيث تبدأ الهجومات ضد الاشتراكية ضد الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي، برقة في البداية ثم بشكل مفضوح. هذا هو الخطأ السياسي الأول للرفيق مولوتوف»<sup>18</sup>.

وشملت الانحرافات التي فضحها ستالين في هذا الخطاب مسألة السياسة البلشفية تجاه القوميات في إطار اتحاد الجمهوريات السوفييتية. يقول ستالين منتقداً مولوتوف: «وماذا عن اقتراح مولوتوف الخاطئ بإعطاء القرم لليهود السوفييتيين؟ أنه خطأ واضح للرفيق مولوتوف. لماذا جاء مثل هذا الاقتراح أساساً؟ على أي أساس قدم الرفيق مولوتوف هذا الاقتراح؟ لدينا جمهورية يهودية ذات استقلال ذاتي. فأية حاجة أخرى نحتاج إليها؟ توجد أقليات قومية عديدة

---

<sup>17</sup> المرجع السابق

<sup>18</sup> المرجع السابق

أخرى لها الآن مناطقها المستقلة ذاتيا وكذلك جمهوريات مستقلة ذاتيا. أليس هذا كافيا الآن؟ أو هل هذا يعني عدم الثقة بالدستور السوفييتي للاتحاد السوفييتي وسياسته حول القوميات؟<sup>19</sup>

كما تعرض ستالين في هذا الخطاب الهام إلى انحرافات ميكويان في مجال السياسة نحو الفلاحين وكيف «أنه قطعيا ضدّ أي ضريبة تفرض على الفلاحين ولذلك فهو يناضل ضدها» ويعتبره «تائها» يحاول جر اللجنة المركزية معه في ضياعه.<sup>20</sup>

نُشر لأول مرّة ضمن مقال «اغتيال ستالين وتصفيّة البُلشفيّة» في:

الحوار المتمدن، العدد، 3658، 2012/3/5

---

<sup>19</sup> المرجع السابق

<sup>20</sup> المرجع السابق